المحاضرة السادسة:مفهوم البيبليوغرافيا وتطورها التاريخي.

1- مفهوم البيبليوغرافيا : لغة و اصطلاحا :

1-1- تعريف البيبليوغرافيا : البيبليوغرافيا هي لفظة مشتقة من كلمتين يونانيتين هما (Biblion) وتعني كتيب، وهو اسم التصغير من لفظة (Biblos) وتعني كتاب، وكلمة (graphian) وهي اسم الفعل المشتق من لفظة (graphien) بمعنى الكتابة أو النسخ، ومنه يكون معنى اللفظة (Bibliographia) الكتابة عن الكتب، أو النسخ والنقل عن الكتب ، ثم تطورت لتشمل أوعية المعلومات غير الكتب مثل الدوريات العلمية، الأفلام، الأوعية السمعية - البصرية، المصغرات الفيلمية وما إليها .

ومن أهم المصطلحات التي تعبر عن البيبليوغرافيا ما يلي:

- البيبليوغرافية (A Bibliography): ويقصد بها القائمة وهي مفرد وجمعها ببليوغرافيات ونقصر استخدامها على كل ما يشمل القوائم البيبليوغرافية سواء في نهاية الكتب أو نهاية فصول الكتب أو في عناوين كتب الفهارس البيبليوغرافية .

- البيبليوغرافيا (Bibliography) : ونقصر استخدامها بهذه الصورة على العلم نفسه، أو الفن الذي يهدف إلى إعداد قوائم بالإنتاج الفكرى لأغراض معينة، والصفة الدالة على العلم هي البيبليوغرافيا، واستخدامنا لها بهذا المعنى مشابه لاستخدامنا لكلمات أخرى أجنبية الأصل نستخدمها في اللغة العربية لتدل على العلم نفسه مثل كلمة جغرافيا أو ديموغرافيا .. الخ.

- البيبليوغرافي: وهو الشخص الذي يؤدي العمل، أي الذي يقوم بجمع الإنتاج الفكري وإعداد قوائم له.

2- هل البيبليوغرافيا علم أم فن ؟

اختلف المتخصصون منذ زمن حول: هل البيبليوغرافيا علم أم فن عملى؟ أي هل البيبليوغرافيا دراسة علمية مجردة أم عمل تطبيقي فقط على مجال من المجالات، ومن المحتمل أن الحقيقة تقع في مكان ما بين الاثنين، فالعلم يعني الطريقة والمنهج، والفن يعني

العرض والتقديم، فالفن يتضمن تسجيل الكتب والمواد المكتوبة الأخرى، أما العلم فهو المتصل بصناعة الكتب وتدوينها .. والعلم والفن في البيبليوغرافيا له جوانب متعددة فهناك البيبليوغرافية التحليلية أو النقدية التي تؤدي بالدارس إلى البيبليوغرافيا التاريخية والتي تعالج وتدرس تاريخ الكتابة والطباعة والتصوير والتجليد .. إلخ.

والببليوغرافيا ليست علما مطلقا، ولا هي أيضا فنا مطلقا، ولكنها مزيج من الاثنين، فالعلم يعني الطريقة والفن يعني العرض المؤثر، فالببليوغرافيا الآن العلم والفن مسيطران معا، أي أن البيبليوغرافيا هي علم وفن معا، فالفن هو فن تسجيل الكتب والعلم اللازم لذلك هو صناعة الكتب.

ومهما يكن من أمر فيمكننا أن نرى أن الجانب العلمي من الموضوع يؤدى بنا إلى الناحية الفنية، وبالرغم من أنه ليس مهما كثيرا ما إذا كنا نسمى البيبليوغرافيا فنا أو علما، تقنية أو مهارة لأن قيمة البيبليوغرافيا لا تتوقف على تسميتها، ولكن قيمة البيبليوغرافيا تستند على الخدمة التي تقدمها للدارسين والباحثين، بل وحتى القراء العاديين فهذا هو جوهر الموضوع، أما النزاع هل هي علم أم فن والجدل الطويل حول ذلك فلا قيمة كبيرة له لأن صلب الموضوع هو في الفوائد التي تقدمها البيبليوغرافيا للباحثين.

3- التطور التاريخي للبيبليوغرافيا:

3-1- البيبليوغرافيا في العصور القديمة والوسطى: يعد التنظيم البيبليوغرافي للمؤلفات من الأعمال القديمة العهد، قدم المكتبات، فقد نقشت على جدران معبد حورس في مصر القديمة أسماء الكتب في مكتبته، كما وجدت في مكتبات بلاد ما بين النهرين قوائم من الطين المشوي، هي عبارة من فهارس لمقتنياتها، أما في بلاد اليونان القديمة، فقد اهتم الفلاسفة بهذا النوع من القوائم أيضا لمعرفة ما ألفه أقرانهم من الفلاسفة السابقين، مع تراجم حياتهم،وهذه الأعمال تعد قوائم ببلوغرافية بالمفهوم القديم، لأنها كانت تشمل كل ما يتصل بالكتاب من تأليف ونسخ وترتيب وما إلى ذلك من أعمال، تشمل حتى تاريخ حياة المؤلفين في كثير من الحالات، ومن الجداول العظيمة التي وضعها البيبليوغرافي الشهير كالماخوس (أمين مكتبة الإسكندرية في العصر اليوناني، إلا دليلا هاما على قدم البيبليوغرافيا

وارتباطها بالمكتبات، حيث صنف فيها مقتنياتها من أوراق البردي والبالغة حولي 500 ألف لفافة

وقد وضع هذه الجداول داخل اثني عشر لفافة كبيرة، رتب بعضها ترتيب زمنيا، والبعض الآخر ترتيبا أبجدية تبعا للموضوعات، أو تبعا للمؤلفين، وقدم لكل مؤلف ترجمة عن حياته، ثم أتبعها بأهم لمؤلفاته، كما بدأ كل باب بذكر عنوانه، واستهلاله، وعدد سطوره وتعتبر مكتبة الإسكندرية أول معهد ببليوغرافي عالي، لأنها لم تقم بجمع التراث اليوناني فحسب، بل كانت مركزا دوليا لتراث البحر الأبيض المتوسط، والشرق، والهند

2-3- البيبليوغرافيا عند المسلمين في العصور الوسطى: أقام العرب حضارتهم عن طريق الحضارة اليونانية التي تعتبر الوسيط بين العرب و كل الحضارات السابقة لكننا لم نتمكن من التعرف بالتحديد على من تأثر به المسلمون في إعدادهم للبيبلوغرافيا، هل تأثروا بالمصريين؟ أم بالعراقيين ؟ أم أنهم قاموا بذلك تحت تأثير خارجي في العصر حوالي القرن الأول الهجري بدأت حركة الترجمة تزدهر بشكل كبير، و في هذه الفترة بدأ العرب ينحرفون عن بيبلوغرافيات المؤلفين التي أعدها اليونانيون القدامى، و قد تعرض ابن النديم في بيبلوغرافيته احتفاء اليونانيين بهذه البيبليوغرافيا و ذكر بعضها و أطلق عليها تسمية الفهارس، فقد أطلق المسلمون العرب على القائمة البيبليوغرافية تسمية الفهرست و هي كلمة فارسية عربت و نقلت بهجائها السابق من الفارسية إلى العربية بدون تغيير، و تم اشتقاق عدة مصطلحات منها القوائم الفهرسية، المفهرس، و في هذه المرحلة تم تعريف الفهرست على أنه الكتاب الذي يجمع فيه العالم أسماء شيوخه و أسانيدهم.

3-3- البيبليوغرافيا في العصر الحديث:

لم تكن الفهارس التي صدرت في أوروبا هنا وهناك حتى مطلع العصر الحديث تحمل لفظة بيبليوغرافية، حيث أن أول من استخدم هذه اللفظة هو" غابريال نوديه "في كتابه البيبليوغرافيا السياسية1633 ، ولم يتم في أوروبا ضبط معنى البيبليوغرافيا حتى منتصف القرن 18 .

في 1812 جاء غابريال بينيو واطلق مصطلح بيبليولوجيا على علم الكتاب وجعل من البيبليوغرافيا فرعا من البيبليولوجيا كما فرق بين الفرعين الأساسيين البيبليوغرافيا :وهما البيبليوغرافيا العامة والبيبليوغرافيا المتخصصة.

-عرف المكتبي شارل مورتيه البيبليوغرافيا بأنها دراسة الفهارس التي وضعت فيها الكتب وصنفت، والتي يجب الرجوع إليها دائما سواء للتحقق من ماهية الكتاب أو معرفة ما نشر حول الموضوع.

في سنة 1939 قامت الأكاديمية الفرنسية بمراجعة مصطلح البيبليوغرافيا في طبعتها الثامنة من معجمها الذي صدر سنة 1969 حيث أقرت بأنها معرفة الكتب المنشورة حول موضوع معين، مع ذكر طبعاتها وقيمتها.

ثم تطور مفهموم البيبليوغرافيا حتى استقر على مفهومه الحالي والذي يعني جمع مصادر المعلومات ووصفها ماديا وموضوعيا.

4- أهمية البيبليوغرافيات :

إن البيبليوغرافيا عبارة عن قوائم وصفية لمصادر الفكر الإنساني، قديمة وحديثة ، تجمعه، وتنظمه، وتعرف به، حتى يتمكن الباحثون من معرفة المؤلفات التي تفيدهم في بحوثهم، وسط هذا العدد الهائل من المؤلفات الموجودة في كل تخصص، سواء كانت صادرة في بلادهم، أو في أي بلد من بلدان العالم، كما تكون البيبليوغرافية بالتاء المربوطة، هي القائمة التي تقدم بيانات عن مواد منشورة، أو غير منشور، يتم تجميعها وفقا لصلة من نوع ما تربط بين هذه المواد، والقائمة قد تضم مواد مخطوطة، أو كتبا مطبوعة، وقد تعالج مقالات في الدوريات، أو وثائق حكومية، أو اسطوانات وتسجيلات صوتية أو خرائط، أو أفلام، أو مسكوكات، أو طوابع ، أو أي شكل آخر من وسائل تسجيل المعرفة، ولو كانت نقوشأ على أحجار، أو نصوصا على برديات.

ويمكن إيجاز أهمية البيبليوغرافيا ومراميها فيما يلي :

- جمع المعلومات حول المؤلفات مهما كان نوعها، وتنظيمها لتسهيل عملية التعرف عليها والرجوع إليها.

ـ مساعدة القراء على مواد المعرفة التي تفيدهم في مجالات تخصصاتهم واهتماماتهم، سواء منها المواد المنشورة، أو غير المنشورة في أي مكان من العالم، وبأية لغة.

ـ تدعيم مبدأ زيادة التعمق في التخصص الموضوعي، والتخصص العلمي والحصول على معلومات عن أفضل المؤلفات، في موضوعات محددة، وأفضل الطبعات، وتقييمها .

ـ الإسهام في التقدم العلمي والحضاري والثقافي للمجتمعات عن طريق حصر الإنتاج الفكري القديم والحديث، وتسجيله، وحفظ معلومات عنه، والتعريف المنظم بالسجل البشري من الأفكار، الوطني منه والعالمي .

ـ التحقق من المؤلفات، من حيث مؤلفيها، وأماكن نشرها، وناشريها، وطبعاتها، وما يتصل بها من أمور هامة .

ـ تسهيل تبادل المعارف والإنتاج الفكري بين الشعوب، ودعم التعاون العالمي بين المكتبات ومراكز المعلومات، وبين الباحثين في كافة الميادين.

ـ مساعدة دور النشر في أغراضها التجارية والتعريف بمنشوراتها، وتسهيل بيعها.

كما يمكن أن نميز من الناحية العلمية بين ثلاثة أنواع من المهام البيبليوغرافية هي :

أـ **البحث عن المؤلفات :** وهي جمع العناوين حول موضوع معين، أو موضوعات متعددة، ومعرفة أماكن وجودها للتعريف بها .

ب ـ اختيار المؤلفات : وهي السعي لمراقبة المؤلفات المنشورة، الجارية أو المحددة، بأنواعها وتخصصاتها المختلفة، وتقييمها، لاختيار المناسب منها .

جـ ـ البحث عن العناوين : وتعني تحديد المعلومات البيبليوغرافية لعنوان الوعاء العلمي، كتابا كان أم دورية أم مادة أخرى غيرهما، وعدم ترك أو إهمال معلومات خاصة بها تعد هامة للمستفيدين، من قراء أو باحثين أو تجار كتب .

5ـ أسس تجميع البيبليوغرافيا:

ـ الأساس الشكلي: ويقصد به إعداد قوائم بيبليوغرافية يتم فيها جمع الأوعية الفكرية حسب شكلها كالكتاب والدورية، التقارير العلمية، النشرات، الخرائط الأفلام المصغرات الفيلمية

الأوعية السمعية البصرية الخ ...وعند اختيار الأساس الشكلي يمكن اختيار نوع واحد منها كالكتب فلا تظم هذه القائمة سوى الكتب من بين الأشكال الأخرى.

- الأساس المكاني: يتم حسب هذا الأساس إعداد البيبليوغرافيات بتجميع المؤلفات تبعا لأماكن صدورها، بجمع المؤلفات الصادرة في مناطق جغرافية محدد، من اجل معرفة حركة التأليف فيها، وتطورها أو التعريف بما ينشر فيها من مؤلفات أو ما كتب عن هذه المناطق.

- الأساس الزماني: تجمع المفردات في هذه القوائم حسب فترات زمنية محددة ، أويتم ترتيبها تبعا لتواريخ صدورها، أو حسب سنوات معينة فينتج عن ذلك البيبليوغرافيا الزمنية الراجعة والجارية، والبيبليوغرافيا المستقبلية، يعتمد هذا الأساس عندما يكون الجانب التاريخي ذا أهمية أو عندما تكون حاجة الباحثين تاريخية، وتفيد هذه القوائم في إعطاء صورة عن التطور التاريخي للأوعية الفكرية التي ترصدها .

- الأساس اللغوي: يتم إعداد القوائم البيبليوغرافية على أساس اللغة المكتوب بها الأوعية الفكرية فيتم جمع الأوعية المكتوبة بلغة واحدة، أو بلغتين أو أكثر، فينتج عن هذا الجمع بيبليوغرافيا عربية، أو فرنسية، ومن نماذج هذه البيبليوغرافيا بيبليوغرافيا التجميعات اللغوية.

- الأساس الموضوعي: ويتم في هذه الحالة تجميع مصادر المعلومات الصادرة في موضوع واحد، او مجموعة من المواضيع المتجانسة، وتفيد هذه القائمة في معرفة ما نشر في مواضيع معينة.